كيف وصلت إلينا الكتابة العربية

د. مفتاح محمد محمد عمر البكوش
كلية التربية جادو – جامعة نالوت

الملخص:

مرت الكتابة العربية بالعديد من الحقب الزمانية امتدت من العصر الجاهلي مروراً بعصر صدر الإسلام، إلى عصر الازدهار في الدولتين الأموية والعباسية، وكانت الكتابة في الحقبة الأولى مقتصرة على كتابة القرآن الكريم، واشتهر في ذلك الزمان الوراقون وكُتاب الوحي وكانت الكتابة على الجلود والحجارة وكذلك أكتاف الإبل. فإن العرب كان لديهم من العلوم بمقدار لا بأس به، ومع إن عرب الجاهلية لم يكونوا أهل كتابة لم تنشر بينهم الكتابة إلا بدعوة الإسلام، فإن الكتابة عندهم كانت نادرة كما يميل بعضهم للحفظ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لا تكتبوا عني شي سوي القرآن. حيث كانوا الشعراء في الجاهلية يدونون أشعارهم على الحجارة والألواح الطينية وكانت الكتابة معروفة في الجاهلية، وجاء القرآن الكريم يحاكي العرب بما يفهمونه فذكر القلم والكتاب والألواح.

وحظيت الكتابة في ظل الإسلام باهتمام كبير، إذ كانت ركيزة أسياسية من ركائز الدعوة الإسلامية ووسيلة هامة في حفظ الوحي والدعوة إلى توحيد الله، فجاء القرآن الكريم معظماً لشأنها رافعاً من مكانتها وبذلك انتشرت الكتابة والثقافة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الكتابة، الأداة، الزمان، القرآن، العرب.

Abstract:
Arabic writing passed through many eras of time, extending from the pre-Islamic era through the era of early Islam, to the era of prosperity in the Umayyad and Abbasid states. Writing in the first era was limited to writing the Holy Qur'an, and the scribes and writers of revelation were famous in that time, and writing was done on skins and stones, as well as the shoulders of camels The Arabs had a fair amount of knowledge, and although the Arabs of pre-Islamic times were not people of writing, writing did not spread among them except with the call of Islam, writing among them was rare, and some of them tended to memorize, because the Messenger, peace and blessings be upon him, said, "Do not write anything about me except the Qur'an." In pre-Islamic times, poets used to write down their poems on stones and clay tablets, and writing was known in pre-Islamic times. The Holy Qur'an came to imitate the Arabs with what they understood, so it mentioned the pen, the book, and the tablets. Writing received great attention under Islam, as it was a fundamental pillar of Islamic advocacy and an important means of preserving revelation and calling for the unity of God. The Holy Qur'an glorified its status, raising its status, and thus Islamic writing and culture spread.
Keywords:
writing, tool, time, the Qur'an, the Arabs.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه اجمعين. أما بعد:

إن التراث الضخم الذي وصلنا من أسلافنا صانعي الثقافة الإسلامية العربية، جديرٌ بأن نقف أمامه وقفة الإكبار والإجلال، ثم نسمو برؤوسنا في اعتزاز وشعور صادق بالفخر والغبطة والكبرياء. إن هذه الصيحات التي يرددها دعاة الاستعمار الثقافي يبغون بها أن ننبذ هذا التراث ونطرحه وراءنا ظهرياً صيحة في واد، وكم لهم من محاولات يائسة يدورون بها ذات اليمين وذات الشمال، كي يهدموا هذا الصرح.

ولكن تلك المحاولات لم تجد لها صدى إلا عند من أمكنهم أن يضفوا على أنفسهم ظل الاستبعاد الثقافي من ضعاف النفوس والقلوب، حاولوا أن يقضوا على الكتابة العربية ليقطعوا ما بين حاضر العرب وماضيهم وألحوا في ذلك الحاحاً متواصلاً فباءوا من بعد ذلك الفشل، وجاهدوا أن يحاربوا اللغة الفصيحة فنادوا أن ندع أهم خصيصة من خصائص العربية فنلغي إعراب الكلمات لأن ذلك عبء ناءت به، فيما يزعمون بعد قرون، حاولوا ذلك فعادوا في خزي تعلوهم الخيبة.

كانت الراوية الشفوية أول محاولة لنشر العلم، والرواية هي الطريقة البدائية للعلم عند جميع الشعوب، ولكن الرواية العربية اقترنت منذ اللحظة الأولى بالحرص البالغ، والدقة الكاملة والأمانة، كان هذا أساسياً على الأقل، لأن الدين يدعو إلى ذلك، ولأن كثيراً من نصوص الكتاب، وكثيراً من نصوص السنة كان شاهداً من شواهد التشريع، وآية من آيات الفتوى، فالتزم القوم الأمانة والحرص فيها حين يرون كلام الله وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام، بل حين يروون أشعار الجاهليين والإسلاميين وأيامهم ووقائعهم إلى حد ما. وكانت الكتابة شيئاً جديداً، فالعرب كانوا قوماً أميين لم تنتشر الكتابة بينهم إلا بدعوة الإسلام وبصنع الإسلام، ففي أعقاب غزوة بدر كان من طرف مفاداة أسرى المشركين أن يعّلم الأسير عشرة من المسلمين الكتابة، فكان زيد بن ثابت كاتب رسول الله أحد هؤلاء الذين علمهم الأسرى. وفي هذه الدراسة إن شاء الله تعالى نقف بشيء من التفصيل على مراحل التي مرت بها الكتابة في مراحلها الأولى وطرق التدوين في بداية الدولة الإسلامية. أسال الله التوفيق والسداد.

مشكلة البحث:

وهي عبارة عن تساؤل يدور في ذهن الباحث حول موضوع الدراسة من أجل الوصول إلى إيجابيات عن هذا التساؤل وذلك من خلال التقصي والبحث، ومن هذه الأسئلة:

س1: متى نشأت الكتابة العربية؟

س2: ما هو أول نص مكتوب باللغة العربية؟

س3: من هم الوراقون؟

أهداف البحث:

1- إظهار أصول الثقافة العربية كتابةً وخطاً.

2- الوقوف على النشأة الأولى للكتابة العربية.

3- إبراز جهود الكُتاب العرب القدماء في كتابة حروف اللغة العربية.

4- الوقوف على جهود الوراقين في حفظ اللغة العربية من الاندثار.

أهمية الدراسة:

تعتبر أهمية دراسة الكتابة العربية من الأمور الواجبة على كل مسلم معرفتها، وذلك للوقوف على معاني القرآن الكريم باعتباره أول نص مكتوب وصل إلينا.

منهجية الدراسة:

المنهج المتّبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي، وذلك من خلال البحث عن الحقبة الزمانية التي مرت بها الكتابة العربية.

هيكلية البحث:

المبحث الأول: أول نص مكتوب.

المبحث الثاني: أدوات الكتابة عند العرب القدماء.

المبحث الثالث: الوراقون.

نتائج الدراسة.

التوصيات.

المبحث الأول – أول نص مكتوب:

كان الكُتاب يكتبون وحي القرآن، ولحق رسول الله بالرفيق الأعلى وقد كتبوا القرآن كله، لم يكتبوا من الحديث إلا قليلا، استجابة لما ورد في حديث أبي سعيد الخدري أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، فمن كتب عني شيئاً فليمحهُ. رواه مسلم في صحيحه.

والحكمة في هذا ظاهرة وهي الخشية من أن يختلط الوحي بحديث الرسول في أثناء نزول القرآن، فصدر هذا الأمر محافظة على هذا العرض الكريم، وكان بلا ريب مؤقتاً بنزول القرآن، على أن المحققين يرون أن هذا الحديث قد نسخ بأحاديث أخرى تبيح الكتابة (1).

منها ما رواه البخاري ومسلم أن أبا شاه اليمني (2) التمس من رسول الله عليه الصلاة والسلام إن يكتب له شيئاً سمعه من خطبته عام الفتح فقال: " اكتبوا لأبي شاه ". وروى أبو داود والحاكم وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قلت يا رسول الله، إني أسمع منك الشيء فأكتبه؟ قال: نعم، قال: في الغضب والرضا؟ قال: نعم، فإني لا أقول فيهما إلا حقاً.

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: ليس أحد من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم أكثر حديثاً مني، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب.

وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: كان رجل من الأنصار يجلس إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم فيسمع منه الحديث يعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: " استعن بيمنيك "، وأومأ بيده إلى الخط. ولما ولى الخلافة أبوبكر وكان ما كان من قتل القراء باليمامة عمد أبوبكر إلى جمع القرآن من صدور الرجال، ومن العُسُب والقضم والرقاع واللحاف والأكتاف والأضلاع،

فحفظ القرآن بذلك (3). وكان عمر يعد أول من جمع القرآن في مصحف، بعث إلى كل أفق بصورة منه.

لذلك نقول: إن القرآن الكريم أول نص إسلامي مكتوب وصل إلينا. ثم استفاض الإسلام واتسعت رقعته اتساعاً ظاهراً في زمان الدولة الأموية، وأدى ذلك إلى اختلاط العرب بالأعاجم، ففسد اللسان. وكان طبيعياً أن يؤلف النحو وتوضع فيه أوائل الكتب، ويظل الحديث في منأى عن الكتابة، أنما تعيه صدور الرواة، وتكتبه قلة قليلة منهم في خوف وإشفاق. وتثور الفتن وتتفرغ المذاهب وتكثر الفتاوى الدينية. فكان لابد للناس من كتب في الدين يرعون إليها لتكون لهم إماماً، خشية أن يكون عمادهم أقوال مختلف العلماء ومذاهبهم التي قد توجهها الأهواء ونوازع السياسة والعصبية فيدونون الحديث.

ويذكرون أن الخليفة عمر بن عبد العزيز ظل يستخير الله أربعين يوماً في تدوين الحديث، وخار له الله، فأذن لأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في تدوين الحديث، فدون ما كان يحفظه في كتاب بعث به إلى الأمصار وكان أبو بكر هذا قاضياً ووالياً على المدينة، وتوفي سنة 120هـ. ولم تزل جمهرة التابعين متورعه عن التدوين والتصنيف في الحديث، حتى تقلص ظل الدولة.

وكانت تظهر جهود أخرى في التأليف المبكر، تتمثل فيما ترجم لخالد ابن يزيد بن معاوية من علوم اليونان، وما ألف هو من كتب في الطب والكيمياء، وما ألفه عبيد بن شرية لمعاوية من أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها. وقد طبع هذا الكتاب في حيدر أباد سنة 1347م من رواية يظهرانها لابن هشام. وما ألفه وهب بن منبه المتوفي سنة 110 هـ، من كتاب التيجان في ملوك حمير. وقد طبع هذا الكتاب من رواية ابن هشام سنة 1347 مع سابقه. كما أدت إلينا الأخبار أن زياد بن أبيه وضع لابنه

كتاباً في مثالب العرب، وأن يونس بن سليمان وضع كتاباً في الأغاني ونسبها إلى المغنين، وأن ما سر جويه الطبيب، ترجم كتاب أهرن بن أعين من السريانية إلى العربية . ويذكر ابن النديم (4)" أن كاتباً كان موصوفاً بحسن الخط، واسمه خالد ابن أبي الهياج، كان سعد قد نصبه لكتابة المصاحف، كان يكتب الشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك. ثم تنهض الدولة العباسية وينهض التدوين، ويتحرر المحدثون من هذا التزمت، وتوضع مسانيد الحديث وكتبه في كل صقع، يؤلف سفيان ابن عيينة ومالك بن أنس في المدينة، وعبد الله بن وهب بمصر، ومعمر وعبد الرزاق باليمن، وسفيان الثوري وحمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة، وحماد بن سلمة وروح بن عبادة بالبصرة، وهشيم بواسط، وعبدالله بن المبارك بخراسان، وتظهر الكتب في شتى الفنون الدينية محتفظة بالطابع الذي غلب على المحدثين، وهو إسناد الرواية إلى مؤلف الكتاب.

وتسري بين المؤلفين في قواعد يلتزمونها في السماع والرواية، والقراءة على الشيخ والإجازة والمكاتبة والوجادة (5). تسرى هذه القواعد التي تكفلت كتب مصطلح الحديث فيما بعد بتفصيلها وبيان شرائطها. كان هذا كله مقروناً بالحرص على الضبط والتصحيح. يقول ابن خلدون(6)،(732–808هـ)" وكانت هذه الرسوم بالمشرق والأندلس معبدة الطرق واضحة المسالك . ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد في أقطارهم على غاية من الإتقان والإحكام والصحة. ومنها لهذا العهد بأيدي الناس في العالم أصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك، وأهل الآفاق يتناقلونها إلى الآن، ويشدون عليها يد الضنانة. ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب وأهله، لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية، بانتفاض عمرانه وبدواة أهله، وصارت الأمهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية، تنسخها طلبة البربر

صحائف مستعجمه برداءة الخط، وكثرة الفساد والتصحيف.

ثم يقول: " ويبلغنا لهذا العهد أن صناعة الرواية قائمة بالمشرق، وتصحيح الدواوين لمن يروم ذلك سهلً على مبتغييه. لنفاق أسواق العلوم والصنائع كما نذكره بعد. إلا أن الخط الذي بقى من الإجادة في الانتساخ هنالك إنما هو للعجم وفي خطوطهم. وأما النسخ ففسد كما فسد بالمغرب وأشد. وهذا التسجيل يوضح ما كانت عليه الكتب إي القرن الثامن الهجري من الإسناد والضبط والتصحيح.

المبحث الثاني – أدوات الكتابة عند العرب القدماء:

يذكر ابن النديم (7) أن العرب كانت تكتب في أكتاف الإبل، واللخاف وهي الحجارة البيضاء العريضة الرقاق، وفي العسب عسب النخل، وأنهم بعد ذلك كتبوا في الجلود المدبوغة. ويذكر أن الدباغة في أول الأمر كانت بالنورة وهي شديدة الجفاف. ثم كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتمر وفيها لين، ثم كتبوا في الورق الخراساني، وكان يعمل من الكتان، وحدث صناعة في أيام بني أمية وقيل في الدولة العباسية، وقيل أن صناعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني الذي كان يصنع من الحشيش. ويذكر من أنواعه: السليماني، والطلحي، والنوحي، والقروني، والجعفري، والظاهري.

ويقول أبن خلدون:" وكانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك، في الرقوق المهيأة بالصناعة من السلطانية والصكوك مع ذلك. فاقتصروا على الكتاب في الرق تشريفاً للمكتوبات، وميلا بها إلى الصحة والإتقان. ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثرة ترسيل السلطان وصكوكه، وضاق الرق عن ذلك، فأشار الفضل أبن يحي بصناعة الكاغد، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتخذه الناس من بعده صُحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية،

وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت".

ويسجل الجهشياري(8)"أن الورق كان مستعملاً بكثرة في أيام أبو جعفر المنصور ، وأنه كان يُجتلب من مصر ، إذ تكن صناعة الورق قد أقيمت في بغداد، قال: ووقف أبو جعفر على كثرة القراطيس في خزائنه ، فدعا بصالح صاحب المصلّى فقال له إني أمرت بإخراج حاصل القراطيس في خزائتنا فوجدته شيئاً كثيراً جداً، فتولّ بيعه وإن لم تُعطُ بكل طومار إلا دانقاً الدانق سدس الدرهم – فإن تحصيل تمنه أصلح منه .

قال صالح: وكان الطَّومار في ذلك الوقت بدرهم. فانصرفت من حضرته على هذا، فلما كان في الغد دعاني فدخلت عليه فقال لي: فكرت في كتبنا وأنها قد جرت من القراطيس، وليس يؤمن حادث بمصر فتقطع القراطيس عنا بسببه، فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم نعوده عمالنا، فدع القراطيس استظهاراً على حالها. ويعين ابن النديم فترة من الزمن في أيام الدولة العباسية كانت الناس فيها ببغداد لا يكتبون إلا في الطروس – والطرس في اللغة: الصحيفة تمحى ثم تكتب – وهذه الفترة هي سنون ثلث نهب الناس للدواوين في أيام محمد بن زُبيدة، وكانت الدواوين في جلود فكانت تمحى ثم يكتب فيها. والظاهر أن العرب كانوا يكتبون في كل الجلود والأوراق في عهد الدولة الأموية، وصدر صالح من عهد الدولة العباسية، وأن الورق لم يستعمل بكثرة ظاهرة إلا منذ أشار الفضل بن يحي البرمكي بصناعة الكاغّد. ومن النصوص النادرة ما وجدته في ترجمة الشافعي، في سير النبلاء للذّهبي، أنه كان يكتب في الألواح والعظام. ويذكر القلقشندي (9)"تعليلاً للكتابة في الجلود، وهو قوله: " أجمع رأى الصحابة على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ، وبقى الناس على ذلك إلى أن ولى الرشيد الخلافة وقد كثر الورق، وفشا عمله بين

الناس، فأمر إلا يكتب الناس إلا في الكاغّد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة، فتقبل التزوير، بخلاف الورق فإنه متى مُحي فيه فسد، وإن كُشط ظهر كشطه. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار، وتعاطاها من قرُب وبعُد.

ومع ذلك عليّةُ القوم يستعملون الجلود ويأنفون من الكتابة في الورق. وقد سجل الجاحظ (في رسالة الجد والهزل) التي ساقها إلى محمد ابن عبد الملك ابن الزيات، نقد محمد له في استعماله الورق وإهماله الجلود ورده عليه فقال: " وما عليك أن تكون كتبي كلها من الورق الصيني ومن الكاغد الخراساني؟ قل لي: لم زينت النسخ في الجلود. ولم حثثني على الأدم وأنت تعلم أن الجلود جافية الحجم، ثقيلة الوزن، إن أصابها الماء بطلت وإن كان يوم لشق استرخت. ولم لم يكن فيها إلا أنها تبغض إلى أربابها نزول الغيث، وتكره إلى مالكيها الحياء لكان في ذلك ما كفي ومنع منها، وقد علمت أن الورّاق لاحظ في تلك الأيام سطراً. ولا يقطع فيها جلداً وهي أنتن ريحاً وأكثر ثمناً وأحمل للغش. يعشُ الكوفي بالواسطي والواسطي بالبصرى. ولو أراد صاحب علم أن يحمل منها قدر ما يكفيه في سفره لما كفاه حمل بعير، ولو أراد مثل ذلك من الفطنى لكفاه ما يحمل مع زاده. ويقول الجاحظ في الحيوان (10): وقيل لابن داحة وأخرج كتاب أبي الشمقمق، وإذا هو في جلود كوفية ودفتين طائفيتين بخط عجيب، فقيل له: لقد أضيع من تجودّ بشعر أبي الشمقمق، فقال: لا جرم والله إن العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه، ولو استطعت أن أودعه سويداء قلبي أو أجعله محفوظاً على ناظري لفعلت. فهذا كله آية على أن الجلود كانت مستعملة في العراق وماجوره في كتابة دواوين العلم، إلى القرن الثالث الهجري ودليل على أن الورق لم يحل محلها بصفة قاطعة. ويرون أن الشافعي كان كثيراً ما يكتب الرسائل على العظام لقلة الورق (11).

المبحث الثالث – الوراقون:

كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وصحيحها بالرواية والضبط ، وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة ، وقد ذهب العهدُ بذهاب الدولة وتقلص العمران ، بعد أن كان منه في الملة الإسلامية بحر زاخر بالعراق والأندلس ، أذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ، ونفاق أسواق ذلك لديهما فكثُرت التأليف العلمية والدواوين ، وحرص الناس على تناقلهما في الآفاق والأمصار، فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المُعانين لانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين ، واختصت بالأمصار العظيمة العمران.

ويفهم من هذا أن الوراقة جاءت تابعة لقوة الدولة واتساع الحضارة وأن الوراقين كان لهم مكان في الأمصار العظيمة والبلدان الكبيرة، فهم بمثابة المطابع الحديثة التي تحتل أمصار بلادنا الآن وكانت مهمتهم موزعة بين الانتساخ، والتصحيح، والتجليد، والتذهيب، وكل ما يمت صناعة الكتب بصلة. وكانت لهم أسواق في بعض الأمصار، كانت بمثابة المعاهد العلمية. وجاء في فهرست أبن النديم (12) عن ابن دريد قال:" رأيت رجلاً في الوراقين بالبصرة يقرأ كتاب لابن السكيت". وكانت صناعة هؤلاء الوراقين رائجة رواجاً. فالجاحظ (13)" يذكر أن يحي بن خالد البرمكي لم يكن في خزانة كتبه كتاب إلا وله ثلاث نسخ. ويذكر المقريزي أنه كان في خزانة العزيز بالله 30 نسخة من كتاب العين و100 نسخة من الجمهرة. وأنه كان في خزانة كتب الفاطميين 1200 نسخة من تاريخ الطبري (14). وكان العلماء يستعينون بالوارقين في التأليف.

قال أبو بريدة الوضاحي (15): أمر أمير المؤمنين المأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع

به أصول النحو. وما سمع من العرب، فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار، ووكّل بها جواري وخدماً للقيام بما يحتاج إليه، حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوف نفسه إلى شي، حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة، وصيّر له الوراقين يكتبون، حتى صنف كتاب الحدود.

وكانت ثقة القوم بالوراقين نازلة، لأنهم لم يكونون في الغالب من العلماء أو من أهل الرواية. بل هم صناعة وتكسب. وقد عرف الطعن فيهم قديماً. قال ثعلب (16): في الكلام على كتاب العين: " وقد حثا الكتاب أيضاً قوم علماء، إلا أنه لم يؤخذ منهم رواية، وإنما وجد بنقل الوراقين فاختل الكتاب لهذه الجهة. ومن أوائل هؤلاء الوراقين خالد بن أبي الهياج الذي سلف ذكره، كان موصوفاً بحسن الخط، قال أبن النديم:" وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي صلي الله عليه وسلم بالذهب من: {وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا} إلى آخر القرآن. فيقال إن عمر بن عبد العزيز قال: أريد أن تكتب لي مصحفاً على هذا المثال، فكتب له مصحفاً تنّوق فيه، فأقبل عمر يُقلبه ويستحسنه، واستكثر ثُمنه فرده عليه. ومنهم مالك بن دينار السامي. مولى بنى سامة بن لؤي، أبو يحي البصري الزاهد، كان أبوه من سبى سجستان، وكان يكتب المصاحف بأجرة وبتفوت بذلك.

وممن كان يتقرب بالنسخ من العلماء أبو محمد بن الحسن بن الهيثم المهندس البصري، نزيل مصر المتوفي نحو 430هـ. ذكر القفطي (17)" أنه كان ينسخ في مدة سنة ثلاثة كتب في ضمن أشغاله، وهي إقليدس، والمتوسطات والمجسطي . وستكملها في مدة السنة، فإذا شرع في نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين ديناراً مصرية فيجعلها مؤونة لنفسه.

ومن العلماء الوراقين أبو موسى الحامض (18)" وأبو عبد الله الكرماني، ومنهم ابن

وداع، وهو عبدالله بن محمد بن وداع، وهو عبدالله بن محمد وداع الأزدي. قال ابن النديم: "حسن المعرفة صحيح الخط، خطه يرغب الناس فيه، ويأخذ حيطة الثمن " كتابة عن زهده وقناعته بالقليل من الأخر. ومن طريف ما يروى عن أحد النحاة، وهو يحي بن محمد الأرزنين، ما ذكره ياقوت (19) في شأنه إذا يقول:" إمام في العربية مليح الخط سريع الكتابة، كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصيح لثعلب، ويبيعه بنصف دينار، ويشترى نبيذا ولحماً وفاكهة، ولا يبيت حتى ينفق ما معه منه". ويروى ابن النديم (20) "في ترجمنه ليحيى بن عدى المنطقي النصراني أن يحيى كان ينسخ كُتب التفسير والكلام، مع إنه كان من النصارى اليعقوبية، وهذا أمر عجب. ويذكر أنهُ لقيه وعاتبه على كثرة نسخه، فقال له: من أي شيء تعجب في هذا الوقت من صبري؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري، وحملتهما إلى ملوك الأطراف، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى. ولعهدي بنفسي وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل. وهذا النص وسابقه يبين لنا قوة المرانة التي كانت لهؤلاء الوراقين في سرعة الخط، وممن عُرف بسرعة الخط هشام بن يوسف الأبناوي القاضي، قال عن نفسه: قدم سفيان الثوري اليمن فقال اطلبوا لي كاتباً سريع الخط فارتادوني فكنت أكتب (21). ومنهم أبوعلي الحسن بن شباب العكبري، قال السمعاني (22)": كان حسن الخط يكتب بالوراقة، وكان سري القلم صحيح النقل. وكان يقول: كسبت في الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية. وقد عثرت في تاريخ بغداد للخطيب (23)" في ترجمة الفراء على نص يلقى ضوءاً على الأجور التي الوراقون يتقاضونها في عهد الدولة العباسية. وذلك عند الكلام على كتاب (المعاني للفراء): أنه لما فرغ من كتاب المعاني وخزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به، وقالوا: لا نخرجه إلا لمن أراد أن

ننسخه له على خمس أوراق بدرهم . فشكا الناس إلى الفراء. فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك، فقالوا: إنما صحبناك لننتفع بك، وكل ما صنعته فليس بالناس إليه من حاجة ما بهم إلى هذا الكتاب، فدعنا نعيش به. فقال: فقاربوهم تنتفعوا وينتفعوا، فأبوا عليه. فقال: سأريكم، وقال للناس: إني ممل كتاب معان أتم شرحاً وأبسط من الذي أمليت. فجلس يملي، فأملى الحمد في مائة ورقة، فجاء الوراقون إليه وقالوا: نحن نبلغ الناس ما يحبون. فنسخوا كل عشرة أوراق بدرهم. وهذا الأجر ينبئ في جلاء واضح عن كثرة الوراقين بالقدر الذي يهبط به الأجر إلى هذا المستوى.

لكن يبدو أن خطوط العلماء كان لها تقدير خاص، كم سبق في خبر يحيى ابن محمد الأرزني. زمن ذلك ما أورده السيوطي في البغية (24) من أن السيرافي كان لا يخرج إلى مجلسه حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم، تكون بمقدار مؤونته.

وكان بعض الوراقين يتجاوزون مهنتهم الأصلية إلى صناعة التأليف قال ابن النديم (25)" كانت الأسمار والخرافات مرغوباً فيها مشّهاة في أيام خلفاء بني العباس وسيما في أيام المقتدر، فصنف الوراقون وكذبوا، فكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلان، واسمه أحمد بن دلان، وآخر يعرف بابن العطار، وجماعة ". وكما كان هناك ورّاقون قد نصبوا أنفسهم لهذه الصناعة في السوق، كان هناك وراقون خاصّون، فمنهم: دماذ أبوغسان، كان يروى عن أبي عبيدة، وكان يورق كُتبه، وأخذ عنه الأنساب والأخبار والمآثر. ومنهم: علي بن المغيرة أبو الحسن الأثرم النحوي، المتوفي سنة 232 هـ، قال في البغية:" وكان أول أمره يورق لإسماعيل بن صبيح (25). وكان لأبي عثمان الجاحظ أكثر من وراق، فمنهم أبو يحيى زكريا ابن يحيي، ذكره القالي في الأماني (26). وياقوت في معجم الأدباء نقلاً عن ابن النديم، ومنهم أبولقاسم عبد الوهاب بن عيسى، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد والزبيدي في تاج

العروس، وكانت وفاته سنة 319 هـ فيما ذكر الخطيب. وكان لأبي العباس محمد بن يزيد وراقون (27) منهم الزجاجي واسمه إبراهيم بن محمد. ولم يخُل هذا الميدان من عنصر المرأة، إذ نجد من أسمائهن "ثناء" الكاتبة جارية ابن فيوما. ذكرها ابن النديم فيمن كتبوا الخطوط الأصيلة الموزونة (28).

نتائج الدراسة:

وفي نهاية هذه الدراسة لابد من ذكر بعض النقاط الهامة التي توصل إليه الباحث وهي كما يلي:

1. ارتبط ظهور الكتابة العربية منذ نزول القرآن الكريم على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، حيث أن العرب كانوا قوماً أميين لم تنتشر الكتابة بينهم إلا بدعوة الإسلام وبصنيع الإسلام.
2. كانت العرب في الجاهلية يكتبون ويروون اشعارهم وأيامهم ووقائعهم ويحفظونها على الحجارة، وسعف النخيل وكذلك على الجلود، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكان ذلك في زمان الدولة الأموية وأدى ذلك إلى اختلاط العرب بالأعاجم ففسد اللسان العربي.
3. نستطيع أن نقول إنّ أول نص مكتوب وصل إلينا باللغة العربية هو القرآن الكريم وبعض أشعار العرب في الجاهلية، وبذلك حفظت الأقوال والكتابات.

التوصيات: يوصي الباحث بالآتي:

1-يجب البحث عن النواة الأولى للكتابة العربية مع إظهار الحركات الإعرابية وكيفية تطبيقها على الحروف العربية.

2-توصي الدراسة بدراسة مصادر الكلام الاسم والفعل والحرف في دراسة مستقلة لكل واحد منهم.

3-دعوة الباحثين على العمل في إظهار قواعد اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة في دراسات متعمقة في جذور الكتابة العربية.

هوامش البحث:

(1) الباعث الحثيث 147-149.

(2) ويقال إنه كلبي، ويقال إنه فارسي الأصالة 601.

(3) العسب جمع عسيب، وهو جزء السعفة الذي لا ينبت عليه الخوص. والقضم: جمع قضيم، وهو الجلد الأبيض يكتب فيه، أو الأديم المدبوغ ما كان.

(4) واللخاف: حجارة بيض رقاق، واحدتها لَخفة بالفتح.

(5) الفهرست، ص 9.

(6) الوجادة: أن يجد حديثاً أو كتاباً بخط شخص بإسناده، ولأتعد الوجادة رواية معتمدة، وإنما هي حكاية عما وجده في الكتاب، والعمل بها منعه طائفة كبيرة من الفقهاء والمحدثين. ونقل عن الشافعي وأصحابه جواز العمل بها.

(7) المقدمة، ص 368.

(8) الفهرست: 31.

(9) الوزراء ء والكتاب: 138.

(10) صبح الأعشى 2: 486.

(11) الحيوان 1: 61.

(12) المطالع التعبيرية، ص: 18.

(13) الفهرست ، ص:82.

(14) الحيوان 1، ص: 60.

(15) المقريزي 2، ص: 253-255.

(16) معجم الأدباء، ص: 12.

(17) المزهر 1، ص: 82.

(18) إخبار العلماء، ص:155.

(19) الفهرست، ص:117.

(20) إرشاد الأريب، ص:35.

(21) الفهرست، ص 319.

(22) تهذيب التهذيب، ص :57.

(23) في الأنساب 369.

(24) تاريخ بغداد، ص: 150.

(25) بغية الوعاة، ص: 222.

(26) الفهرست، ص: 428.

(27) كان إسماعيل بن صبيح كاتباً ليحيى بن خالد البرمكي.

(28) الأماني، ص: 148.

المراجع:

1. الباعث الحديث، شرح اختصار علوم الحديث، أحمد شاكر، 1958م.
2. الفهرست، ابن النديم، 1929م، الرحمانية النشر.
3. كتاب المقدمة، ابن خلدون، 1928، دار البهية للنشر.
4. الوزراء والكتاب، الجهشياري الحلبي، 1938م.
5. صبح الأعشى، للقلقشندي، دار الكتاب، 1922م.
6. الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار القومية العربية، 1955م.
7. المطالع النصرية، نصر الهوريني، 1275هـ.

8. خطط المقريزي، النيل، 1904م.
9. معجم الأدباء، البكري، 1877م.
10. المزهر، السيوطي الحلبي، 1942م.
11. إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للقفطي، دار السعادة، 1918م.
12. إرشاد الأريب، للياقوت، دار المأمون ،1905م.
13. تهذيب التهذيب، لابن حجر، حيدر آباد، 1908م.
14. الأنساب، السمعاني، 1912م، الناشر، لندن.
15. تاريخ بغداد، البغدادي، القاهرة، 1932م.
16. بغية الوعاة، للسيوطي، دار السعادة ،1911م.
17. تاج العروس، للزبيدي، دار الخيرية، 1888م.